العنصرية والمتبربرة في عصرنا ٠٠ ولا شك ان مفهوم الصفوة يجد تأصيلا عميقا له في التراث اليهودي المسيحي في اسطورة « الشعب المختار » صفوة الشعوب والذي عليه الهداية والقيادة والذي يخرج الاطفال الذين يصرعون العمالقة كما تحكي القصة التوراتية ، وهو غير مقطوع الاسباب ايضا عن المفهوم الرومانسي الصوفي عن وحدة الله والطبيعة والانسان ، هذه الوحدة الصوفية التي تجسدت في « شعب الله المختار » واخرجت عمالقة بأذن الله ، او بأذن الشيطان « لا فرق » !!

٢ ـ القومية الثقافية ٠٠ وشعب الروح والاخلاق

من ابرز السمات التي تميز القومية الرومانسية الرجعية كما رأينا التركيز على عنصر الثقافة والروح باعتباره المكون الاساسي للامة ٠ فالامة الالمانية هي امة العقل ٠ وامة الثقافة وامة الروح ٠ وبنفس اللغة والعبارات توصف الامة العبرية ٠٠ فهي امة التوراة وشعب الله ٠ وامة الروح خلال التاريخ البشري كله ٠ ورسالتها هي رسالة الروح والاخلاق ٠٠ ذلك الشعب الكاهن !!

واذا تتبعنا جذر هذه الافكار وجدناها ـ ويا للسخرية ـ في الاوضاع المادية والظروف الاقتصادية التي عاشتها المانيا والامة الالمانية بوجه الخصوص وكثير من شعوب شرق اوروبا ايضا ٠ فقد كان للانجليز ما يفخرون به في الثورة الصناعية التي حققوها وكل التقدم والثروة التي تراكمت في ركب الصناعة والتجارة ٠ وكان هذا مصدرا للعزة والكرامة القومية ٠ وبينما كانت المانيا كما شهدنا فقيرة ممزقة محبطة ، كانت مدينة لندن وحدها في منتصف القرن تستهلك من الفحم ، ما يعادل ما تستهلكه المانيا باسرها (٣٣) ٠ في مثل هذه الظروف كان من الطبيعي ان يكتسب مفهوم الامة زخما وتضخما مفرطا، ويصبح الفرد بازائها لا شيء ، ولا وجود له الا من خلالها ٠ اصبحت هناك حقيقتان في نظر بعض الكتاب الالمان ـ ولا شيء غيرهما : الله والامة ٠ واذيب الفرد تماما داخل الكل المنسجم والمتكامل واصبحت الامة جسما واحدا ولكن هذا الجسم اكتسب شفافية ونقاء وقيمة روحية من خلال التاريخ ٠ تحول بالتاريخ والتراث واللغة الى روح ـ مجرد روح ، وتجسدت عظمة الامة المفتقدة في عظمة الثقافة والروح ، واصبحت الامة تكتسب سموها وتفوقها من سمو الثقافة والعقل واللغة : وكلها مفاهيم اكتسبت زخمها من ظروف المانيا بالذات، والشعوب المهيضة في شرق اوروبا والجامعة السلافية ، بعكس فرنسا وانجلترا٠

ولكن الفكرة اكتسبت ابعادا اكبر « فالروح الالمانية » اصبحت تضم الامة الالمانية بكاملها وتتجسد في الشعب Volk بتراثه وعاداته وتقاليده واساطيره